﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الكلمة الطَّيّبة مع الكفّار لدفع شرِّهم

لـمّا كان إنكار الكفّار للبعث مدعاةً لإيذاء المؤمنين، ومجلبةً لبغض المؤمنين إيّاهم، ومعاملتهم بما عاملوهم؛ أمر الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ أن يُوصي المؤمنين بالرِّفق بالكفّار، واللُّطف بهم في القول، وألّا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم[1].

ولمّا أمر سبحانه رسوله الأمينَ ﷺ بإبلاغهم هذا الكلام، وفيه من التهكُّم بهم، والتبكيت لهم، والاستخفاف بعقولهم، ما لا يعلم مقداره إلّا مثلهم من البلغاء والعرب العرباء، وكان - لكونه كلام العليم بالعواقب الخبير بما تجنُّ الضمائر - ربَّما استنَّ به المؤمنون، فخاطبوهم بنحوه من عند أنفسهم؛ نهاهم عن ذلك؛ لئلّا يقولوا ما يُهيِّج شرًّا، أو يُثيرُ ضُرًّا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّعِبَادِي﴾: جمعٌ، مُفردُه (عَبْدٌ)، والعين والباء والدّال أصلان صحيحان، كأنَّهما متضادان، الأوّل: يدلُّ على لِينٍ وذُلٍّ، والآخر: على شدَّة وغِلَظ[3]، والمقصود هنا الأوَّل، والنّاس كلُّهم عِبَادُ الله؛ بل الأشياء كلُّها كذلك، لكن بعضها بالتَّسخير وبعضها بالاختيار[4]، والعبوديَّة قسمان: عامَّة لأهل السموات والأرض كلِّهم مؤمنهم وكافرهم، فالجميع عبيدٌ لله خاضعون لأمره الكونيِّ، وخاصَّة؛ وهي

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 65.
(2) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 441/ 11.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عبد).
(4) الرَّاغب، المُفردات: (عبد).

عبوديَّة الطّاعة والمحبَّة واتِّباع الأوامر[1]، وهي المقصودة في هذه الآية، ولهذا أضافهم الله ﷻ إلى ذاته العليَّة تشريفًا بقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾.

2) ﴿يَنزَغُ﴾: (نزغ)، تقول: نَزَغَ يَنْزَغُ (وفي لغة يَنْزِغُ) نَزْغًا، والنون والزاء والغين أصل يدلُّ على إفساد بين اثنين[2]، وتدور اشتقاقاته حول نَخْسٍ حِسّيٍّ (في البدن) أو معنويٍّ للتَّحريك والإثارة، ومنه نَزَغَ بينهم: أَغْرَى وأَفسدَ وحملَ بعضَهم على بعض، وليس في القرآن من التَّركيب إلّا (نزغ الشّيطان)، فهو نزغ تحريضٍ وتحريشٍ؛ للإيقاع بين غير المتعاديَيْن، ولزيادة الفساد بين المتعاديَيْن[3]، وهو المعنى المقصود في هذه الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دفعُ نزغِ الشيطان بالحِرْص على طيّبِ الكلامِ

بعد أَن بيَّن الله جحودَ الكفَّار للبعث ومعاداةَ الحقِّ؛ أمرَ رسوله ﷺ في هذه الآية أن يوصي عباده المؤمنين في تخاطبهم وتحاورهم مع الكفّار أو فيما بينهم بالكلام الحَسَنِ الطَّيب؛ فإنَّهم إن لم يفعلوا ذلك؛ ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام، فالشيطان للإنسان عدوٌّ ظاهرُ العداوة على الدّوام[4].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ من لطف الله تعالى بعباده أمْرَهم بأحسن الأخلاق، والأعمال، والأقوالِ الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة، وهو أمر بكلِّ كلام يقرِّبُ إلى الله من قراءةٍ وذِكْرٍ وعِلمٍ وأمرٍ بمعروف ونهيٍ عن منكر، وكلامٍ حسنٍ لطيف مع الخَلْق على اختلاف مراتبهم ومنازلِهم، وأنَّه إذا دار الأمرُ بين أمريْن حَسنَيْن؛ فإنَّه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يُمكن الجمعُ بينهما، وتُرشدُ إلى

(1) ابن القيّم، مدارج السّالكين، ص: 180.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نزغ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (نزغ).
(4) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 5/ 767، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 287.

النَّهي عن الكلمةِ الخَشِنَةِ المسيئةِ، وإلى بيانِ أنَّ الشيطان يسعى للإفسادِ دائمًا، ويُزيِّن القبيحَ للإنسان، فيدفعه المؤمن بالقول الطيب والعمل الطيب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَقُل﴾:

الاستئناف بإيراد الحُجج على المخالفين بالطَّريق الأحسن

ورد قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ مصدَّرًا بحرف الواو الدّالِّ على الاستئناف، فإنَّ الله ﷻ لمّا ذَكَر الحُجَّة اليقينيَّة في إبطال الشِّرك في قوله: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِى ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: 42]، وذَكَر الحُجَّة اليقينيَّة في صحَّة المعاد في قوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾، قال في هذه الآية: وقل يا محمد ﷺ لعبادي: إذا أردتم إيراد الحُجَّة على المخالفين؛ فاذكروا تلك الدَّلائل بالطَّريق الأحسن[2].

فائدة الأمر بـ﴿وَقُل﴾:

الأمرُ بإبلاغ المؤمنين طُرقَ الهُدى

في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ ورد التَّعبير بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾ الدّالِّ على وجوب التَّبليغ، فلمّا أمر الله الرَّسول ﷺ في الآيات السابقة تبليغَ المشركين أقوالًا تعظهم من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: 42]، وقوله: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً﴾ وقوله: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ ثُني العِنان إلى الأمر بإبلاغ المؤمنين تأديبًا ينفعهم في هذا المقام على عادة القرآن في تلوين الأغراض، وتعقيبُ بعضها ببعض أضدادَها؛ استقصاءً لأصناف الهُدى ومختلف أساليبه ونفع مختلف الناس[3].

(1) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 460، ومجمع البحوث الإسلامية، التّفسير الوسيط: 5/ 768، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 204.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 355.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 131.

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِّعِبَادِى﴾:

تَـقـويـةُ الـكـلام وزيـادةُ تبليغه إلـى الـسّـامـع باللّام

جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ استعمالُ حرف اللّام في قوله: ﴿لِّعِبَادِى﴾، وتُسمَّى هذه اللّامُ (لامَ التَّبليغ)، وهي الَّتي تدخل على اسم أو ضمير السّامع لقول أو ما في معناه، نحو: قلتُ له، وأذنتُ له، وفسَّرتُ له، وذلك عندما يكون المقولُ له الكلام معلومًا من السّياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تَقَوّي الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سُمّيت لام التبليغ[1].

نكتة التَّعبير بلفظة العباد ودلالة الإضافة:

تشريف المؤمنين بإضافتهم إلى ربِّهم الكريم

ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ استعمالُ عبارة (عبادي)، والمُراد بها: المؤمنون، كما هو المعروف من اصطلاح القرآن في هذا العنوان، وإنَّما خصَّهم الله بوصف العبودية المُضاف إلى ضمير الله تعالى؛ تشريفًا لهم، وذلك يُؤذن بالاهتمام بما سيُقال، وبأنَّه سيُقال لهم عن ربِّهم، وهذا وضع لهم في مقام المخاطبة من الله؛ وهي درجة عظيمة من القُرب[2].

الموقع الإعرابيُّ لقوله: ﴿يَقُولُواْ﴾ ودلالته:

سـرعـةُ امـتـثـال المـؤمـنـين لأوامـر ربِّهم

في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ جاء الفعل ﴿يَقُولُواْ﴾ مجزومًا على حذف لام الأمر، وهو وارد كثيرًا بعد الأمر بالقول، ونظيره قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 31]، ويمكن أن يكون ﴿يَقُولُواْ﴾ جوابًا منصوبًا في جواب الأمر مع حذف مفعول القول؛ لدلالة الجواب عليه، والتَّقدير: (قل لهم: قولوا الَّتي هي أحسن يقولوا ذلك)، فيكون على هذا كناية على أنَّ الامتثال شأنهم، فإذا أُمِروا امتثلوا[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 05.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 131.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 132.

نكتة التَّعبير بالمضارع في: ﴿يَقُولُواْ﴾:

الإحسانُ في المجادلة ينبغي أن يكون خُلُقًا دائمًا للمؤمنين

الفعل ﴿يَقُولُواْ﴾ ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ بصيغة المضارع؛ وذلك للدلالة على أنَّ الإحسان في المجادلة ينبغي أن يكون خُلُقًا دائمًا مُستمرًّا للمؤمنين؛ وذلك لأنَّ استعمال الفعل بصيغة المضارع يُفيد افتراض تكرُّر الحدث ودوامه واستمراره[1].

علَّةُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته: ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾:

ضرورة الإحسان في كلِّ مقولات المؤمنين

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته: ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، والنُّكتة في استعماله أنَّه يحتمل أن يكون صفةً لمحذوفٍ يدلُّ عليه فعل ﴿يَقُولُواْ﴾، تقديره: بالَّتي هي أحسن، أو: يقولوا التي هي أحسن من كلمة التَّوحيد والإقرار بالنُّبوَّة[2]، وقيل المعنى: وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن[3]، وقيل نزلت في المشركين الذين كانوا يؤذون المؤمنين[4]، وقيل نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ حين شتمه بعضُ الكفرة؛ فشتمه عمر، وهَمَّ بقتله؛ فكاد أن يُثير فتنةً[5].

غرضُ توسُّط ﴿هِيَ﴾ بين الاسم الموصول وصلته:

تأكيدُ الإحسان في المجادلة في الأحوال كلِّها

جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ توسُّط الضمير ﴿هِيَ﴾ بين الموصول وصلته: ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾؛ لما تشتمل عليه الجملةُ الاسمية من مزيد تأكيد الجملة الفعلية، ولدلالتها على ثبوت المجادلة والتزامها بالحُسنى في الأحوال كلِّها، كما أنَّ مجيء الضمير المُؤنَّث ﴿هِيَ﴾ يشعر بأنَّ المحذوف مؤنَّث، تقديره: الكلمة التي هي أحسن، أو: الطريقة ونحوها.

---

(1) فاضل السّامرّائيّ، معاني النحو: 4/ 78.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 458.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 277.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 132.
(5) الواحديّ، أسباب النزول، ص: 164.

فائدة التَّعبير بصيغة التَّفضيل: ﴿أَحۡسَنُۚ﴾:

تـأثـيـر الـجـدال بـالـحـسـنـى في القلوب

آثر الذِّكْر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ التعبيرَ بصيغة التَّفضيل ﴿أَحۡسَنُۚ﴾، واسم التَّفضيل مُستعملٌ في قوَّة الحُسن؛ أيْ: بالمجادلات التي هي بالغةُ الغاية في الحُسْن، ووجه الحُسن ألّا يكون ذِكْرُ الحُجَّة مخلوطًا بالشَّتم والسَّبِّ والتَّعيير والاستخفاف، ونظير هذه الآية قوله: ﴿*وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]؛ وذلك لأنَّ ذِكْرَ الحُجَّة لو اختلط به شيء من السَّبِّ والشتم؛ لقابلوكم بمثله، كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: 108]، ويزداد الغضب، وتتكامل النَّفرة، ويمتنع حصول المقصود، أمَّا إذا وقع الاقتصار على ذِكْر الحُجَّة بالطَّريق الأحسن الخالي عن الشَّتْم والإيذاء؛ أثَّر في القلب تأثيرًا شديدًا[1].

نكتةُ فصلِ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

فـاسـدُ الأقـوال يُثيرُ مفاسدَ من عمل الشَّيطان

وَرَدَ قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ مفصولًا عن الجملة السّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتيْن اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تنزَّل الثَّانية من الأولى منزلة نفسها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ تعليلًا للأمر بقول التي هي أحسن، والمقصود من التَّعليل ألّا يستخفّوا بفاسد الأقوال؛ فإنَّها تُثير مفاسد من عمل الشَّيطان[3].

وقد يكونُ سببُ فصلِها عن سابقتها شبهُ كمال الاتِّصالِ، أو ما يُسمّى بالاستئنافِ البيانيِّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لِمَ أمرهم بذلك؟

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 355.
(2) القزوينيُّ، الإيضاح: 3/ 108.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 132.

دلالة تأكيد جملة: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

تأكيد تعليل الأمر بالمجادلة بالحسنى مع الكفّار

أتى قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ مؤكّدًا بحرف التَّأكيد ﴿إِنَّ﴾ واسميَّة الجملة، وذكر المُسند إليه مرَّتيْن: مرَّةً بكونه مبتدأ، ومرَّةً بكونه فاعلًا مُضمرًا؛ لفرط التَّحذير من كيد الشَّيطان في الوسوسة في قلوب النّاس لإيقاع الشَّرِّ بينهم، ولتأكيد عِلِّيَّةِ الأمر أيضًا بالتزام الكلمة الحُسنى، وذلك لدَرْءِ نزغات الشياطين.

معنى (أل) في: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾:

شمول التَّعريف لشياطين الإنس والجنّ

وَرَدَ في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ لفظ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ معرَّفًا باللّام، ويمكن أن تكون (أل) في الشَّيطان لتعريف الجنس؛ لأنَّ الشياطين كثيرة مرئية وغير مرئية، بل المرئيُّ ربَّما يكون أشدَّ، ويمكن أن تكون (أل) فيه للعهد، أي: الشّيطان المعهود وهو إبليس؛ لأنَّ جميع المعاصي برضا هذا الشَّيطان، والراضي يجري مَجرى الفاعل له، وتدخل ذرّيته فيه تبعًا[1].

نكتة التَّعبير بـ ﴿يَنزَغُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

نـــزغـــات الشّياطين كغرز الإبر والسّكاكين

في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ جاء استعمال الفعل ﴿يَنزَغُ﴾، والنَّزغ: النَّخْسُ والغَرْزُ[2]، وقيَّده بعضهم بأنَّه دخول شيءٍ في شيءٍ لإفساده، وقريب منه الفسخ بالسِّين، وهو الغرز بإبرة أو نحوها للوشم، وقلّما يُستعمل في غير فعل الشّيطان[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: 200]، ومعنى النَّزْغ: حركة الشَّيطان بسرعة ليُوجِب فسادًا، فهذا يُخرج اللَّفظة عن مجرَّد الوسوسة.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 1/ 94.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 200.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 229.

وفيه لغتان: (ينزَغُ) بفتح الزّاي، وهي المشهورة وبها القراءة، و(ينزِغُ) بكسر الزّاي على الأصل[1].

بلاغة الاستعارة في التَّعبير بالنَّزغ:

التّأثيرات الخفيّة لوسوس الشّيطان الرَّديّة

صورة بيانية بديعة تضمَّنها قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾؛ وهي قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُۚ﴾، وإطلاق النَّزغ هنا على وسوسة الشَّيطان استعارة: شبَّه حدوث الوسوسة الشيطانية في النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفيِّ، وشاعت هذه الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة[2].

وجهُ عَوْدِ الضمير في ﴿بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

اختصاصُ المؤمنين بإضافةِ التَّشريفِ وبالامتثال

وَرَدَ في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ ضمير جماعة العقلاء (هم) مُتَّصلًا بالظَّرف (بين)، واختلف العلماء في مرجعه بناء على اختلافهم في تفسير ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾؛ فقالت فرقة: ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ هي: (لا إله إلا الله)، ويلزم على هذا أن يُراد بقوله تعالى: ﴿لِّعِبَادِي﴾ جميع الخلق؛ لأنَّ جميعهم مدعوٌّ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، ويجيء قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ غير مناسب للمعنى، إلَّا على تكرُّهٍ، بأن يجعل بَيْنَهُمْ بمعنى خلالهم وأثناءهم، ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة والإضلال[3].

وذهب جمهور العلماء إلى أنَّ مرجع الضَّمير (هم) هم المؤمنون، لوجهيْن؛ **الأوَّل:** أنَّهم أُضيفوا إليه، وهذه إضافةُ شرفٍ لا يكون إلَّا للمؤمنين به، **والثّاني:** أنَّ الَّذين يُخاطَبون بهذا الإرشاد ويكون منهم الامتثال، إنَّما هم مَن حصَّلوا أصل الإيمان[4].

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/ 463، والسَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المَصون: 7/ 371.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 229.
(3) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 3/ 464.
(4) ابن باديس، مجالس التَّذكير، ص: 113.

غرضُ تتابع المؤكِّدات في الفاصلة:

ضـرورةُ معاداةِ الـشَّـيـطـانِ واجتنابِ موالاتِه

في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ تتابعُ عدَّة مؤكِّدات لفظية ومعنوية، والنُّكتة في ذلك هي فرط التَّحذير من عداوة الشَّيطان الشَّديدة للإنسان، فافتُتِحَت الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ الَّتي هي أمُّ باب التَّوكيد، ثمَّ توسَّطها الفعل ﴿كَانَ﴾ الدّالُّ على الدَّوام والاستمرار، ثمَّ اختُتِمت بالصِّفة ﴿مُّبِينٗا﴾ المؤكِّدة لشدَّة العداوة بين الشَّيطان والإنسان، فضلًا عن أنَّ الجملة الاسميَّة تُفيد التَّوكيد، وكذلك ذُكر المُسند إليه مرَّتيْن: مرَّةً ظاهرًا، ومرَّةً مُضمرًا، فحريٌّ بالمؤمنين الاتِّعاظُ بهذا التَّحذير بمعاداة الشَّيطان واجتناب موالاته.

نكتة دخول ﴿كَانَ﴾ على خبر ﴿إِنَّ﴾:

عداوة الشَّيطان للإنسان قديمة مستمرَّة

في قوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾، استعمالُ الفعل ﴿كَانَ﴾ الَّذي يأتي في الأصل للاتِّصاف بالخبر في الماضي مع الانقطاع، غير أنَّه يخرج لدلالة الدَّوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، فتختصُّ (كان) بمرادفة (لم يزل كثيرًا)، أي: إنَّها تأتي دالَّة على الدَّوام[1]، وهي الدلالة المقصودة في هذه الآية، فالعداوة الحاصلة بين الشَّيطان وبين الإنسان عداوةٌ قديمة مُستمرَّة في خلقته قد جُبِل عليها، وهي مُتقرِّرة من وقت نشأة آدم عليه السلام ومُتجدِّدة لذرِّيَّته على الدَّوام، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: 62].

معنى اللّام في ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾:

اخـتـصـاصُ الإنسانِ بعداوةِ الشَّيطانِ

وردَ في قوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ استعمالُ حرف الجرِّ (اللّام) متَّصلًا بـ(الإنسان)، ومعنى هذه اللّام هو الاختصاصُ؛ أي: اختصاصُ الإنسان دون غيره بعداوة الشَّيطان.

(1) السّيوطيّ، همع الهوامع: 1/ 120.

نكتةُ تقديم ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ على خبر ﴿كَانَ﴾:

البيانُ بتقديمِ ما حقُّه التأخيرُ للاهتمامِ

وَرَدَ في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، تقديمُ شبه الجملة ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ على الخبر ﴿عَدُوًّا﴾؛ لنكتةٍ بلاغيةٍ وهي الاختصاص، ويجعل أئمة علم المعاني التّخصيص لازمًا للتّقديم[1]، كما يدلُّ على ذلك استعمال حرف الجرِّ (اللام) الدّالِّ أيضًا على الاختصاص؛ أي: اختصاص الإنسان دون غيره بعداوة الشَّيطان، كما يمكن حَمْلُه على الاهتمام؛ لأنَّ السِّياقَ في نصح الإنسان وتحذيره من نزغات الشَّياطين.

نكتةُ تنكيرِ ﴿عَدُوًّا﴾:

عداوةُ الشَّيطانِ للإنسانِ تفوقُ الوصفَ

وَرَدَ في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ لفظ ﴿عَدُوًّا﴾ نكرةً، والنُّكتة البلاغية في ذلك أنَّ التَّنكير يدلُّ على الإبهام، والإبهامُ له علاقةٌ مباشرةٌ بالتَّعظيم والتَّفخيم، فإنَّ مَن أراد أن يُعظِّم شيئًا؛ أبهمه بحيث لا يُكتَنَهُ وصفُه، وتذهب النَّفس فيه كلَّ مذهب، فعداوة الشَّيطانِ للإنسانِ عظيمةٌ لا يُقدَّر قَدرها، وقد أقسم عليها بالأيمان المغلَّظة في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: 82]، ويمكن أن يكون سببُ التَّنكير: التَّحقيرُ والتَّهوين لشأن الشَّيطان.

فائدة وصف عداوة الشَّيطان بـ﴿مُّبِينًا﴾:

عداوة الشَّيطان صريحة ظاهرة أو خفيَّة مُستترة

جاء التّعبير بلفظ (المبين) وَصْفًا لعداوة الشَّيطان في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ومعنى المبين: الظَّاهر العداوة، وقد ظهرت عداوته سافرةً في رفضه السُّجود لآدم عليه السلام أمام جميع الملائكة، ثمَّ توعُّده المُتكرِّر بإغواء ذرّية آدم عليه السلام في آيات كثيرة؛ مثل: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: 82]، وقوله:

(1) السّكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 233.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 16 - 17] فأيُّ عداوة أبين من هذه؟!

رأيٌ آخر للمُفسِّرين:

ذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المبين هنا من (أبان) بمعنى (بان)؛ أيْ: بَعُدَ، وليس من أبان الذي همزته للتَّعدية بمعنى: أظهر؛ لأنَّ الشَّيطان لا يُظهر لنا العداوة، بل يُلبِّس لنا وسوسته في لباس النَّصيحة أو جلب الملائم، ولذلك سمّاه الله وليًّا، فقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ [النساء: 119]، إلّا أنَّ الله فضحه؛ فلم يَبْقَ مسلمٌ تروج عليه تلبيساته حتى في حال اتِّباعه لخطواته، فهو يعلم أنَّها وساوسه المُضرَّة إلّا أنَّه تغلبه شهوته وضعف عزيمته ورقَّة ديانته[1].

نكتةُ العدولِ من الجملةِ الفعليَّةِ إلى الاسميَّةِ:

ثبوتُ عداوةِ الشَّيطانِ وتجدُّد نزغاتِه في كلِّ آنٍ

جاءت الجملة الفعلية ﴿يَنزَغُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بصيغة المضارع الدَّالَّة على التَّجدُّد الاستمراريِّ، فوساوسُ الشَّيطانِ لا تنقطع عن ابن آدم، وتتجدَّد في كلِّ حالٍ، ولهذا أُمر المسلمُ بالاستعاذة منه مرارًا في كلِّ أحواله ليلًا ونهارًا.

وورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ جملة اسميَّة لدلالتها على الاستقرار والثبوت، بخلاف الجملة الفعلية، فعداوة الشيطان صفة جِبِلِّيَّة ثابتة له لا مَحيدَ له عنها، وقد قرَّر علماءُ المعاني أنَّ موضوع الاسمِ ثابتٌ به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّده شيئًا بعد شيء، وأمّا الفعل؛ فموضوعه على أنَّه يقتضي تجدُّد المعنى المُثبَت به شيئًا بعد شيء[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 104.
(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 174.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النّزغُ والوسوسةُ:

وسـاوسُ الشَّيطانِ أعمُّ دلالةً من النَّزغِ

يشترك لفظ (النّزغ) و(الوسوسة) في أنَّ كليهما من أفعال الشَّيطان الخفيَّة، ويختلفان في أنَّ النزغ الشّيطانيّ مأخوذ من نزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفي، وشاعت هذه الاستعارة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة[1]، والوسوسة مأخوذة من الوسواس؛ وهو الصوت الخفي للحُلِيِّ.

كما يختلفان أيضًا في الاستعمال، فالنَّزغ يختصُّ بأنَّه دخولُ شيءٍ في شيءٍ لإفساده، والمقصود منه الإفساد بين النّاس، إخوة كانوا أو أصدقاء أو غيرهم.

أمّا (الوسوسة)؛ فدلالتها أعمُّ من دلالة (النزغ)، فتشمل كلَّ الشُّرور من تزيين المعصية، وإحداث الفتن، والتَّثبيط عن الطَّاعات وغيرها، وتكون بصوتٍ مسموعٍ وغير مسموعٍ؛ لأنَّها قد تكون من الإنس الذين يبثّون الشرَّ والشُّكوك في صدور النّاس، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: 5 - 6].

ويشهد لهذا التَّفريق قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِى وَبَيۡنَ إِخۡوَتِىٓۚ﴾ [يوسف: 100]، فاستُعمل النزغُ للعداوة والفساد التي زرعها الشَّيطان بين يوسف عليه السلام وإخوته، وأمّا في قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: 120]؛ فقد زيَّن له معصية الأكل من الشجرة، فاستعمل الوسوسة دون النَّزغ لعدم وجود خصومة.

الإغواء والإضلال:

يشترك لفظا (الإغواء) و(الإضلال) في أنَّ كليهما من أعمال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 09/ 229.

الضَّلال عدمٌ، والغَواية وجودٌ فاسد

شياطين الإنس والجنِّ، وهما مشتقّان من (الغيّ) و(الضّلال)، والهمزة للتعدية، وقد ورد هذان اللفظان في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النّجم: 2]، والعطف يقتضي المغايرة؛ فقال بعض العلماء في الفرق بينهما إنَّ الضَّلال: عدم الاهتداء إلى الطريق المُوصل إلى المقصود، وهو مجاز في سلوك ما يُنافي الحق، والغَواية: فسادُ الرأي وتعلُّقه بالباطل[1]، كما أنَّ الضَّلال يُستَعمل في مقابلة الهدى، والغيُّ في مقابلة الرُّشد، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146] وقال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: 256]، إضافةً إلى أنَّ الضَّلال أعمُّ استعمالًا في الوضع؛ تقول: ضلَّ بَعيري ورَحْلي، ولا تقول: غَوَى، فالمُراد من الضَّلال ألّا يجد السالك إلى مقصده طريقًا أصلًا، والغَواية ألّا يكون له طريق إلى المَقصِد مستقيمٌ.

يدلُّك على هذا أنَّك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السَّداد: إنَّه سفيهٌ غير رشيدٍ، ولا تقول: إنَّه ضالٌّ، ويُؤيِّد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: 6]، فنقول: الضَّلال كالعدم، والغَواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 92.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 355.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»